

الشفاهية امرأة تحسن الغواية ، مأكرة ، ساحرة مائية ، قد تودي بصاحبها ، حين يفقد السيطرة على نفسه ! .
والشفاهية إن رمنا وضوحاً أكثر درجات وحالات - فهي قد تلزمننا بمواقف علينا الالتزام بها ، وتفرض علينا اتخاذ وضعية دفاعية مناسبة لها عنها ، دون أن نتهياً منذ البداية . وهي قد تحرف مسارنا خطأ عابرة ، أو هفوة ، يكفي مجرد التفكير فيها لكي نتجنب جادة الصواب الشفاهية هي يقظة القوى النفسية كلها في هذا المجال ..إنها إن أردنا الدقة ، إبحار يولوسيبي ، حيث المفاجآت أو التوقعات المذهلة واردة باستمرار - وهي رهان على الذات وبالذات - وميدان صراع ونزاع بين عواطفنا وأفكارنا وميولنا ، وما نحب أن نخفيه ، ولا نريد إظهاره ، وما نريد إظهاره بوضوح ، ولا نبتغي إخفاءه ، وهي (إن جاز التعبير) : لعبة (بوكر) فكرية .. مادامت في حقيقتها إقامة خارج المؤلف ، بل سكنى في المجهول ، وحركة دائمة في المجهول ..

مواجهة الشفاهية كمصير :

لقد رأينا في النص الذي استشهدنا به بداية ، كيف أن الشفاهية هي امتحان مصيري لمن يلجأ إليها ! كأنما أراد " زياد " أن يمتحنه ، ولو أن ذلك لم يخطر في ذهنه بالضبط ، ولكنها (أي الشفاهية) ، يكون من طبيعتها اللاتوقع - حيث المواقف لا تحدد مسبقاً - وتكون الاحتمالات المصيرية ممكنة أو واردة - فالخارجي أراد أن يشافه ، فالشافهية هي - هنا - معركة ساخنة متوترة بين طرفين غير متكافئين - ولكن ليس بوسع أحد توقع ما يمكن أن يحصل مادام هناك باستمرار مالا يمكن التهيئة له ، مهما كان أحد الطرفين قويا. الخارجي برز - هنا - المشافة الأكبر ، لأنه منذ البداية مكشوف عنه كخصم ضعيف أو مستضعف - لا بد إذا من طاقة ذاتية أخرى ! إنها الطاقة الواعية في حدودها الخفية ، تلك التي تشع في لحظات معينة أو التي تسعف صاحبها ، وهو في وضع ميئوس منه - فبما أن الشفاهية - كما في النص - هي